الْفَارِسُ الْمُلَثَّمُ

رَأَى الْمُسْلِمُونَ عَجَبًا وَهُمْ يُصَاوِلُونَ الرُّومَ ، رَأَوْا فَارِسًا لَمْ يَرَوْهُ مِنْ قَبْلُ ، وَقَدِ انْدَفَعَ يَشُقُّ الصُّفُوفَ وَيَمْزِّقُ الأَعْدَاءَ ، وَيَرْتَعِدُ الرِّجَالُ أَمَامَ ضَرَبَاتِهِ الْقَوِيَّةِ النَّافِذَةِ .

وَجَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - رضي الله عنه - فِي الْمَيْدَانِ ، وَقَدْ رَابَهُ أَمْرُ ذَلِكَ الْفَارِسِ الْغَرِيبِ الْجَدِيدِ الَّذِي لاَ يَظْهَرُ مِنْ وَجْهِهِ إِلاَّ حَدَقَتَاهُ ، وَقَدْ بَدَا فِي ثِيَابِهِ السُّودِ وَحِزَامِهِ الأَخْضَرِ كَأَنَّهُ الْقَضَاءُ الَّذِي لا يُرَدُّ ، هَتَفَ خَالِدٌ : لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَكُونُ هَذَا الْفَارِسُ ، وَشَدَّ الْمُسْلِمُونَ وَرَاءَ ذِي الثِّيَابِ السُّودِ الَّذِي حَمَلَ عَلَى عَسَاكِرِ الرُّومِ ، فَزَعْزَعَهُمْ .

قَالَ رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ - رضي الله عنه - لِبَعْضِ مَنْ سَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ الشَّهْمِ الْجَرِيءِ : لا بُدَّ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَلَكِنَّ خَالِدًا مَا لَبِثَ أَنْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، فَثَارَتْ دَهْشَةُ رَافِعٍ ، وَأَقْبَلَ عَلَى قَائِدِهِ يَسْأَلُهُ : مَنْ يَكُونُ ذَلِكَ الْفَارِسُ الَّذِي أَنْزَلَ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الأَعْدَاءِ ؟

فَإِذَا خَالِدٌ يَقُولُ : وَأَنَا ـ وَاللَّهِ ـ لَأَشَدُّ مِنْكُمْ عَجَبًا وَصَاحَ رَافِعٌ فِي دَهْشَةٍ : يَا سَيْفَ اللَّهِ . انْظُرْ لَقَدْ نَفَذَ فِي عَسْكَرِ الرُّومِ يَطْعَنُ يَمِينًا وَشِمَالًا . لاَ يُبَالِي الْمَوْتَ . وَأَطَالَ الْقَائِدُ النَّظَرَ إِلَى مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ ، وَتَبَدَّتْ لَهُ بَوَارِقُ النَّصْرِ فَإِذَا هُوَ يَصِيحُ : أَيْ مَعْشَرَ الرِّجَالِ ، احْمِلُوا جَمِيعًا وَرَاءَ هَذَا الْفَارِسِ . وَأَطْلَقَ الرِّجَالُ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ . وَخَالِدٌ أَمَامَهُمْ ، وَإِذَا الْفَارِسُ كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ . وَالْخَيْلُ فِي أَثَرِهِ ، يَنْقَضُّونَ عَلَى عَسَاكِرِ الرُّومِ ، فَإِذَا هُمْ يَرْتَدُّونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَاسِرِينَ .

وَوَصَلَ الْفَارِسُ الْمُلَثَّمُ حَيْثُ كَانَ خَالِدٌ . وَ قَدْ تَخَضَّبَ رِدَاؤُهُ بِالدَّمِ فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : لَقَدْ أَبْلَيْتَ أَيُّهَا الْفَارِسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحْسَنَ الْبَلاَءِ ، اكْشِفْ لِثَامَكَ لِنَعْرِفَ مَنْ تَكُونُ ، وَلَكِنَّ الْفَارِسَ لَمْ يَنْزِعْ لِثَامَهُ . وَانْصَرَفَ دُونَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةً .

سَارَ فِي ثُؤْدَةٍ أَثَارَتْ فُضُولَ خَالِدٍ . فَسَأَلَهُ فِي لَهْفَةٍ : وَيْحَكَ لَقَدْ شَغَلْتَ قُلُوبَ النَّاسِ .

وَقَفَ الْفَارِسُ فِي مَكَانِهِ بِثَوْبِهِ الْأَسْوَدِ ، وَحِزَامِهِ الْأَخْضَرِ . وَظَلَّ عَلَى صَمْتِهِ ، وَلِثَامُهُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَكِنَّ خَالِدًا ـ ﷺ ـ يَهِيبُ بِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَتَكَلَّمَ الْفَارِسُ أَخِيرًا ، وَتَرَاجَعَ خَالِدٌ أَمَامَ نَبْرَةِ الصَّوْتِ . وَاسْتَمَعَ إِلَى صَاحِبَتِهِ وَهِيَ تَقُولُ : لَقَدْ أَعْرَضْتُ عَنْكَ حَيَاءً مِنْكَ فَاغْفِرْ لِي صَمْتِي ، وَإِصْرَارِي عَلَى السُّكُوتِ . وَسَأَلَ خَالِدٌ مَحَدِّثَتَهُ فِي دَهْشَةٍ : مَنْ أَنْتِ إِذًا ؟ أَنَا خَوْلَةُ بِنْتُ الْأَزْوَرِ ، قَدْ كُنْتُ مَعَ النِّسَاءِ ، فَسَمِعْتُ بِأَسْرِ أَخِي ضِرَارٍ . تَأَمَّلَ خَالِدٌ مُحَدِّثَتَهُ ، وَأَكْبَرَ فِيهَا شَجَاعَتَهَا ، فَإِذَا بِهِ يَقُولُ لَهَا : أَخَوْلَةُ ، لا تَحْزَنِي ، سَنَحْمِلُ ـ وَاللَّهِ ـ عَلَى الرُّومِ ، وَسَنَصِلُ إِلَى حَيْثُ ضِرَارٌ .

يَا زَهْرَةُ ، يَا خَدِيجَةُ ، يَا آمِنَةُ ، يَا أُمَّ كُلْثُومٍ ، يَا مُحَمَّدُ ، يَا صَالِحُ ، فَلْنَتَّخِذْ مِنْ أُمِّنَا خَوْلَةَ قُدْوَةً لَنَا ، وَلْنُسَطِّرْ بِأَحْرُفٍ مِنْ نُورٍ بُطُولاَتِ فِي تَارِيخِ أُمَّتِنَا الْمَجِيدَةِ .

سَنِيَّة قُرَاعَة (بتصرف) *

* روائيّة وكاتبة مصريّة لها ، قصص تاريخيّة منها : نساء في التاريخ العربيّ .

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ

الْكَلِمَةُ	مَعْنَاهَا
يُصَاوِلُونَ	يُقَاتِلُونَ .
الْقَضَاءُ	مَا يُقَدِّرُ اللَّهُ مِنْ حُكْمٍ .
لَيْتَ شِعْرِي	لَيْتَنِي أَعْرِفُ أَوْ أَعْلَمُ (أُسْلُوبٌ يُفِيدُ التَّمَنِّي) .
أَشْرَفَ	أَطَلَّ مِنْ فَوْقٍ .
أَعِنَّةٌ ، جَمْعُ عِنَانٍ	سَيْرُ اللِّجَامِ الَّذِي تُمْسَكُ بِهِ الدَّابَّةُ .
أَبْلَيْتَ بَلَاءً حَسَنًا	قَاتَلْتَ قِتَالًا عَظِيمًا .
وَيْحَكَ	كَلِمَةٌ لِلتَّعَجُّبِ وَالزَّجْرِ ، وَاللَّومِ .

مُرَادِفَاتٌ

الْكَلِمَةُ	مُرَادِفُهَا
نَفَذَ	اخترَقَ .
يَرْتَعِدُ	يَضْطَرِبُ .
بَوَارِقُ	عَلَامَاتٌ .
يَنْقَضُّونَ	يَهْجُمُونَ .
ثُؤَدَةٌ	مَهْلٌ .
يَهِيبُ	يَدْعُو .

الْكَلِمَةُ : ضِدُّهَا

يَضْطَرِبُ	يَهْدَأُ
يَهْجِمُونَ	يَفِرُّونَ
مَهْلٌ	اسْتِعْجَالٌ